

الزمن داخل صراع لا رحمة فيه . هنا يعود الشعر الى لهجته الأولى فهو صوت القبيلة التي تتوحد : « شعب تهرس بالصعب ولم تزل منه الصعاب متمرد لم يرض يوماً أن يقر على عذاب » وهو كذلك ، صوت الفلاح الذي يتشبث بأرضه فيما يشعر انها تتحرك من تحت قدميه . يعود الفلاح الى أغانيه القديمة ويرسم بها خريطة حركته الانتعالية داخل لهب القتال . يعود الى التراث ويلتجئ الى لغة المتنبى ، حيث تجيب هذه اللغة على طموح مزدوج : طموح الشاعر الذي يرى نفسه غنى القبيلة والناطق باسمها ، وطموح القتال ، الذي هو وحده طريق الخلاص الوطني . لذلك فحين يتوقف عبد الرحيم محمود طويلاً عند لغة المتنبى ، فان لهذا التوقف دلالة جماعية . دلالة ضرورة قتال الإعداء ودلالة روح الفروسية التي كانت نتاج تلك المرحلة .

الأرض ، ونشيدها . تلك هي علامة بدايات الشعر الفلسطيني . وداخل هذه البدايات ، كان تفرّد عبد الرحيم محمود ، هو تفرّد الالتزام الكامل ، الذي حول الشعر الى ممارسة ديموية ، فهو ليس مخاطبة في فراغ ، وليس امتداداً بغير قدمين ثابتين . انه الأرض وقد رسمت ملامحها في كلمات شاعر ، فجاءت الكلمات وكأنها تلال مخضبة بالدماء . وأصبح الشعر مدخلاً الى الموت .

ان صوت هذا الشاعر ، هو صوت بداياتنا الذي يجب دراستها بشكل متأن ومستفيض . فنك المرحلة ، التي حملت نضالاً أجهض من الداخل والخارج . كانت كذلك مرحلة الألام الشعبي الكبير ، الذي لا يتراجع . ففي أصوات شمعراء هذه المرحلة ، بذور النمو لشعر الالتزام الوطني ، من موقع الممارسة الثورية .

فحين سقط عبد الرحيم محمود في معركة الشجرة ، ١٣/٧/٤٨ جندياً قائداً من قادة شعبنا ، ترك أوجاع الولادات التي عادت لتنبو على جذوعه ، وتفضج أدب الموت والثورة ، وهو يحمل جمال الموت داخل نهب الدماء .

الشاعر ، الجميل ، حين أمسك بندقيته ، ترك لشعره حرية القتال . وأمام هذه الحرية ، بدأت قافلة الشهداء تزداد ، ودخلت الكلمات لهب الموت لتشهد على ولادة جديدة .

ومشاعر وطنية ، كانت قاسماً مشتركاً للكثيرة الساحقة من أبناء الشعب الذين شاركوا في نضالات طويلة ضد الاحتلال . هنا يأتي تفرده ، بوصفه يحمل قضية فريدة . فهو أول شاعر عربي حديث ، يحمل الموت في شعره هذا المعنى المركزي المرتبط بالفضال الوطني . وهو صوت الثورة ، أو لفتها مع أقرانه الذين رسموا في الثلاثينات لوحة مضيئة لشعرنا . الخطابة إذن ، هي مرحلة استجماع للذات الجماعية في مواجهة أعدائها . من هنا تركيزها على الرموز الثقافية ( القرآن أساساً ) ووقوفها طويلاً أمام الرموز النضالية الحية ، الثورات ، الانتفاضات ، التي وجدت في عزالدين القسام رمزها الأساسي :

« هذي طريقك في الحياة فلا تحذ  
قد سارها من قبلك القسام »

الخطابة ، هي نشيد قتال . يأتي الشعر الخطابي ، ليصبح صورة القتال ، ومركز الذاكرة الجماعية . جماعية الذاكرة هنا ، هي المبرر والحافز لكتابة شعر خطابي في بلمحه الأساسي . فالذاكرة الجماعية في لحظات التهديد الجسدي بالانتزاع والنفي ، تصبح أكثر محافظة ، لكنها تحمل في الوقت نفسه قدرة هائلة على التكيف مع ظروف القتال الجديدة . تلجأ الى تراثها ، وترسم أناشيد قصيرة هي رجع لإيقاع المعارك المنتظرة ، او دعوة لخوض غمارها :

« دعا الوطن الذبيح الى الجهاد  
فخفف لفرط فرحته فؤادي  
وسابقت النسيم ولا افتخار  
أليس علي ان أهبى بلادي »

### الأرض ومعاناة الانتزاع

لم يكن الانتزاع والنشرد حقيقة واحدة ، لكنه كان مائلاً كل لحظة في الإذهان . لذلك اكتسبت الأرض وفي وقت مبكر جداً ، بعدها الشعري الجديد ، الذي سيصبح عنوان مرحلة شعرية لاحقة . فالأرض الفلسطينية هي مكان الصراع ، وهي التي يجري من أجلها الصراع . من هنا بدأت تأخذ حجماً مختلفاً عن الحنين « الثوري » الذي اجتاحت الادب المهجري في بدايات القرن . انها هنا رمز ووجود حقيقي . لذلك كانت النبرة الوطنية تتوتر بمضمون البعد المكاني الذي هو لحظة انفجار